مجلة الشهاب • المجلد: 07، العدد: 02 (2021م) • ص ص 27 - 38
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)

معالم التزكية النفسية في القرآن من خلال قصة إبراهيم عليه السلام

personal pursuit of purity Landmarks in the Qur'an through the story of Prophet Ibrahim.

د/ أحمد الطيبي*
مختبر الدراسات الدينية والعلوم المعرفية والاجتماعية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة سيدي محمد بن عبد الله، سايس فاس (المغرب)
ataibiahmed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/12/01 تاريخ القبول: 2021/04/19 تاريخ النشر: 2021/07/15

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:
في القرآن الكريم وفي قصص الأنبياء خاصة، يبين الله تعالى معالم إيمانية للإنسان، ليزكي بها نفسه، ويطهرها من الشرك به سبحانه؛ كما هو الشأن مثلا في قصة إبراهيم عليه السلام؛ وهذه المعالم أولها: معلم التأمل في الأكوان، وأقصد به خلوة الإنسان بربه كما فعل إبراهيم عليه السلام؛ وثانيها: معلم مناظرة من يريد زعزعة الأركان، وهو الدفاع عن نفسه تجاه من يريده بسوء؛ وثالثها: معلم التربية على الصبر والإحسان، وأقصد به الخلق الجميل وبذل كل يسير؛ ورابعها: معلم المحافظة على قواعد البنيان، وهو محاولة ترسيخ قيم التزكية في الخلف الذي يبقى.. فهي أربعة معالم، من اقتفى أثرها ارتقى بنفسه إلى منزلة الإيمان، وعصمها من أدران الشرك واتباع خطوات الشيطان؛ وقد سميت المقال بمعالم التزكية النفسية في القرآن من خلال قصة إبراهيم عليه السلام.

الكلمات المفتاحية:
معالم؛ التزكية؛ النفس؛ قصة إبراهيم في القرآن.

Abstract :
God shows in the Noble Qur'an and in the stories of the prophets landmarks of faith for man, in order to purify himself, as an example, the story of the Prophet Ibrahim. The first of these pillars is: contemplation of the universes. The second is to debate who wants to shake the pillars. The third is the education of patience and excellence. Fourth: Preserving the pillars. They are four pillars, whoever traces them will elevate himself to the rank of faith.

Keywords:
Landmarks; personal pursuit of purity; Ibrahim; Story ; Qur'an.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

النفس الإنسانية سر رباني أودعه الله في الإنسان، ولمعرفتها ينبغي الرجوع للقرآن؛ لأنها روح، والقرآن روح أيضا كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾ [الشورى: 52]؛ يقول جمال الدين القاسمي: "وسماه روحا؛ لأنه به تحيا القلوب الميتة"[1]، فالقرآن الكريم هو الدواء لكل داء كيفما كان حسيا أو معنويا؛ لأنه شريعة الله في أرضه، و"قصد الشارع من وضع شريعته إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبدا لله اختيارا كما هو عبد لله اضطرارا"[2]، فمصدر كل داء غالبا ما يكون هو الهوى، الذي إذا سيطر على النفس قيدها فمنعها من الترقي في مدارج الإيمان، ومجالسة أنوار القرآن؛ والإنسان في أصله حرٌّ وعبد لله، يسير وفق مراده لا مراد هواه؛ لأنه إذا حاد عن هذا القصد كان عبدا ضالا متمردا غير معترف للرب بربوبيته ولا بوحدانيته؛ إلا إذا صفى نيته لخالقه، وزكى نفسه من خلال أنوار قصص أنبيائه ورسله؛ وقد وضع الله تعالى في القرآن معالم تنير طريقه لذلك، إن هو أراد اتباعها والسير وفق معانيها الربانية، ولنا في قصة إبراهيم عليه السلام معالم نهتدي بأنوارها، لمن أراد بصدق تزكية نفسه وطهارتها من أدرانها، ومن معالم التزكية فيها: معلم التأمل في الأكوان، ومعلم مناظرة من يريد زعزعة الأركان، ومعلم التربية على الصبر والإحسان، ومعلم المحافظة على قواعد البنيان؛ هذه المعالم الأربع، هي التي نريد الدندنة حولها في هذا المقال، فلنبدأ على بركة الله.

2. أولا: معلم التأمل في الأكوان

الأكوان جمع كون، والمقصود به ما سوى الله، فكل ما هو مشاهد من المخلوقات مطلوب منا تأمله والتفكر فيه، لنهتدي بأنواره، ونزكي أرواحنا بمعانيه وأسراره، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٨٩ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: 189 – 191].

فالآية تشير إلى أن التفكر هو السبيل الوحيد لهداية الإنسان والرجوع به إلى الفطرة النقية التي زرعها الله فيه أول مرة، والتي أشار إليها قوله عليه الصلاة والسلام: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه"[3].

يقول الإمام الباجي في شرحه لهذا الحديث: "فمعنى هذا الحديث أن كل مولود يولد على الفطرة التي خلق عليها من الإيمان"[4]؛ فثبت إذن، أن الإنسان في بطن أمه يفطر على الإيمان أي يخلق عليه؛ فيخرج إلى الدنيا وأصول الإسلام مزروعة فيه، تحتاج فقط إلى من يربيها ويزيح عنها ما يفسدها، فإذا كان الراعي الذي يستقبلها على ملة الإسلام سقاها بمائه فأينعت على دين الإسلام، وإذا كان على غير ذلك سقاها بماء

الكفر، فأينعت مشركة منحرفة فتبقى حتى تموت أو يدركها الله برحمته فتتوب.

ومن رحمة الله تعالى أن فساد الإنسان لما حوله لا يستطيع الوصول إلى ذاك الذي جعله الله مصدرا للهداية، كالنجوم وغيرها، فهي معالم ثابتة يهتدي بها العباد أصحاب الفطرة النقية، فيزكون أنفسهم بتأمل صنعها، وعظيم حجمها، كما وقع لإبراهيم عليه السلام، الذي بعدما رأى انحراف قومه تأمل الكون فرأى فيه ربه، فعلم حينئذ أنهم بربهم مشركون، فبرئ منهم ووجه وجهه حنيفا لربه الذي فطره وفطر السموات والأرض.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَٰفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام:75–79].

في هذا المشهد التي يصور جلوس إبراهيم متأملا للكون، نجد لسان الفطرة يتحدث، وعقلها يفكر ويتدبر، ولا نجد لإبراهيم مرجعية غيرها، فهو عليه السلام رغم ما عاشه وشاهده في قومه من انحراف قبل بلوغه لم يتأثر، بل بقي معصوما ثابتا على فطرته الأولى التي فطره الله عليها، فكانت رؤيته البصرية متبوعة برؤية "البصيرة العقلية"[5]؛ وكان أول شيء رآه كوكبا قيل إنه كوكب الزهرة[6]، لأنه الأقرب إلى الأرض من غيره، فهو يرى "أحيانا في الصباح الباكر، قبل شروق الشمس على هيئة نجم شديد التألق، ويرى أحيانا أخرى في المساء بعد غروب في الناحية الغربية كأنه نجم شديد التألق في الفضاء، قبل أن تشرق النجوم، وذلك يسمى بنجمة الصباح، وأحيانا أخرى بنجمة المساء، ويرى كذلك مع نجوم المساء بعد شروقها"[7]، فلما رآه إبراهيم ظنه ربه، فنطق فرحا "هذا ربي" فلما أفل كره صفة الأفول فيه لأنها نقصان، والكمال من صفة الرب المعبود، فرجع مرة أخرى إلى السماء يتأملها ببصر فطرته السليمة فرأى القمر بازغا، "قال هذا ربي"، فلما أفل أدرك إبراهيم أن حقيقة الربوبية تدرك بتوفيق الله له إذا شاء وليس اعتمادا على حواسه البشرية، فالحواس كثيرا ما تخطئ في إدراك الحقيقة إن لم تسدد بنور الهداية الربانية، فقال معترفا بالنقص البشري، وطالبا من ربه الهداية:" لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين" فرأى بعدها الشمس بازغة فقال: "هذا ربي هذا أكبر" ظن أنها الإله لاختلافها عن القمر والكوكب، فلما أفلت هي الأخرى أدرك يقينا أن الإله لا يجسم، ولا يحده المكان والزمان، لأنه لو كان ذلك كذلك، لحاطت به السماء والأرض، فلم يصلح للألوهية حينئذ؛ فهو سبحانه ليس كمثله شيء، ولا تدركه الأبصار بل هو يدركها، لذلك لم يبحث إبراهيم في الكون مرة أخرى بل رأى فيه بمجمله صفات الربوبية وعظمتها، فقال: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا

تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ ﴾ [الأنعام: 78-79]؛ وكلمة "جن" تشير إلى أنه كان في ظلمة الليل "وهو يقتضي أنه كان تحت السماء ولم يكن في بيت، ويؤخذ من كلمته بعده يقوم إني بريء مما تشركون أنه كان سائرا مع فريق من قومه يشاهدون الكواكب"[8] وعلى كل حال فكيفما كان حاله فهو كان يتأمل الكون برشد رباني مجرد عن اتباع الهوى فهداه ربه، وهو ما ينبغي للباحث عن التزكية السير عليه، فيخصص وقتا من أوقاته مثلا يتجرد فيه من كل شيء ويختلي بنفسه ليتأمل صنع الله فيه وفي الكون، يتحدث مع جوارحه ويسبح بخياله في ملكوت السموات والأرض، كما سبح إبراهيم، يرى الكون من زاوية أخرى، ويرى الإبداع الرباني في خلقه، عندها ترتاح نفس الباحث عن التزكية وتطمئن، وتنقى من الدنس كما ينقى الثوب الأبيض، فترجع نسمة صافية، كما زرعت في البدن أول مرة على الفطرة السليمة التي فطرها الله عليها، حينئذ تتقوى فلا تتأثر بتقلبات الزمان من حولها، فتصير حنيفة سمحة، والحنيف وصف للدلالة على العدول بقصد ويقين[9]؛ كما هو حال نبي الله إبراهيم.

3. ثانيا: معلم مناظرة من يريد زعزعة الأركان

بعد معلم التأمل في الأكوان، يأتي المعلم الثاني من معالم التزكية النفسية وهو مناظرة الأعداء، والوقوف في وجوههم دفاعا عن وجوده بينهم، لكن ليس بالقتل وسفك الدماء، بل بالبراهين والحجج؛ إيمانا بأن التدافع سنة كونية، وصفة بها يثبت الحق ويزهق الباطل.

والتدافع نوعان: تدافع في الخير وتدافع في الشر، فالتدافع في الخير هو ما كانت الشريعة الإلهية مصدره، وموافقة الشارع في القصد من وضعها منهجه، فتكون المصلحة أكثر من المفسدة فيه، لأن صلاح العبد هو المطلوب وليس فساده، سواء في القول أو في العمل، لذلك كثيرا ما نجده مقرونا بالإيمان في القرآن، وفي السنة أيضا؛ فالتدافع بهذا المعنى تجتنى منه الرحمة والتوسعة على العباد، وهو المعروف عند العلماء بالخلاف المحمود، والشرط فيه تجرد الخصمين من الهوى، وابتغاؤهما القصد الحسن الموافق لقصد الشارع؛ فإذا خلا عن هذين الشرطين كان في الحقيقة تدافعا فاسدا، محكوما بحظوظ نفسية، وأهواء لا علاقة لها بالتدافع المشروع إطلاقا، لأنه ينتج الفساد في البلاد وبين العباد، وغالبا ما تكون النصرة فيه والغلبة، لمن هو على قصد الموافقة الربانية كما سنرى في إبراهيم عليه السلام مع الذي حاجه وهو الملك.

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:258]، فحاج هنا بمعنى "جادل وقابل الحجة بالحجة"[10] والمخالف هنا يؤمن بسنة التدافع، لذا طلب حجاج إبراهيم، فلو لم يكن معترفا بالخصم لما طلب مناظرته، لكنه يؤمن بها على هواه، فلا يريد أن يخضع للحق وإن رآه جليا واضحا، رغم أنه "لم يكن منكراً لوجود الله أصلاً

إنما كان منكراً لوحدانيته في الألوهية والربوبية ولتصريفه للكون وتدبيره لما يجري فيه وحده"[11]، لأن حبه الملك أعمى بصيرته فصار عبدا لهواه.

ومعنى "بهت" دهش وتحير، فلم يستطع الإجابة من شدة الاضطراب الذي حصل له[12]، ويرى العلماء أن كفره بالله كان سببا مباشرا في حيرته واضطرابه، فهو مهزوم النفس قبل أن يكون مهزوم الحجة والبرهان، "إذ لو كان طالب هداية لكانت الحجة القاطعة الملزمة هادية بدل أن تكون محيرة ولكنه صمم على الكفر وأصر عليه، فكانت نفسه حائرة بين حق ظهرت بيناته وباطل قد عض عليه بالنواجذ، وكذلك شأن كل من أضله الله على علم"[13]، فلما غلبه إبراهيم لم يرض الهزيمة فقرر الانتقام منه بحرقه، ظنا منه أن سماع إبراهيم للحكم يهزم نفسيته، لكن إبراهيم كان قد وصل بنفسه إلى درجة عليا من الإيمان، فأصبح لا يخشى أحدا إلا الله، قال الله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء: 68-71]، فكانت الغلبة إذا لإبراهيم، وتم له النصر على من أراد زحزحته؛ وبين للعالمين من بعده أن المناظرة والدفاع عن الحقوق واجبة لمن أراد لنفسه البقاء، ولا يترك نفسه تسمع دون محاجة الخصم والرد عليه؛ لأن النفوس تتأثر بالمسموع ولو كان باطلا، والخصم كيفما كان فهو مخلوق له حس وتأثر بما يسمع هو أيضا، فقد يهتدي للخير حينما يرى حججه واهية.

والمناظر إذا صادف في الخصم الرغبة في معرفة الحق أثر فيه، خاصة إذا كان مهذبا ومؤدبا في كلامه فلا يصف الخصم مثلا بأوصاف جارحة، فحتى ولم يرجع عن غيه في مكانه وبخته نفسه في خلوته فأناب إلى الحق، لأن النفس البشرية جعلها الله هكذا تؤثر فيها الخلوة، فتراجع الكلام من جديد إذا كان حقا، وكانت لها رغبة الهداية، لذا جعل الله وحيه الخاتم كلاما يتلى، وجعل من يكثر من تلاوته أو سماعه يزداد إيمانا، فقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: 204- 205]. لكن كل ذلك يكون من الخصم تزكية له إذا كان راغبا في اتباع الحق، والذي حاج إبراهيم كان منذ البداية متمسكا بهواه فلم يظفر بهداية الله، أما إبراهيم فقد ازداد إيمانا على إيمانه وتزكية لنفسه.

4. ثالثا: معلم التربية على الصبر والإحسان

يعتبر هذا المعلم من أهم معالم التزكية في القرآن، لأنه يتعلق بصفات إذا رسخت في النفس هذبت سلوكها، فانعكس ذلك على المحيط كله؛ كما سنرى ذلك في قصة الخليل إبراهيم عليه السلام مع ذريته، فالبيت هو محضن اتخاذ القرار، وبناء الشخصية، فيجب على الراعي أن يكون فيه صاحب خلق عظيم ليؤثر في رعيته، لأن الأطفال غالبا ما يتأثرون بمحيطهم الأول، فإذا كان في البيت كرما وإحسانا وصبرا ارتوى

منه الطفل فأينعت فطرته من مائه العذب، وإذا كان العكس انعكس على شخصيته فشب على الشح والبخل..

لذلك نجد القرآن الكريم وهو يحكي لنا قصة إبراهيم مع أسرته بدأ بذكر أبيه، لأن الأب هو الراعي الأول، ففي الحديث، قال عليه الصلاة والسلام: "كلكم راع وكلكم مسؤول، فالإمام راع وهو مسؤول، والرجل راع على أهله وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول"[14]

فقدم عليه الصلاة والسلام الزوج أولا، لأن العصمة والقوامة بيده، ثم تلا ذلك بالزوجة فجعلها راعية أيضا، وقد ذكر القرآن الكريم أبرز صفة في اختيار الزوجة فجعله الحياء، وأبرز صفة في اختيار الزوج فجعله القوة والأمانة، وذلك في قصة موسى عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ [القصص25]؛ وقد ذكر هنا الطاهر بن عاشور أن على "للاستعلاء المجازي، مستعارة للتمكن من الوصف... والاستحياء مبالغة في الحياء"[15]؛ ثم قال تعالى في حق الزوج: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: 26]؛ قال أبو حيان: "وقولها حكيم جامع، لأنه إذا اجتمعت الكفاية والأمانة في القائم بأمر، فقد تم المقصود"[16]. فهذه الصفات هي الأسس بالنسبة لأي بيت، وهي قائمة كلها على الصبر والإحسان، فلولاه لما ظهرت قوة موسى وأمانته، ولا حياء المرأة.

وإبراهيم عليه السلام وهو يؤسس بيته بدأ بأبيه يختبره في قوته وصبره على ترك قومه، فوجده لا يستطيع، فقرر اعتزاله والدعاء له، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾ [مريم: 41-48]؛ فقد جرب إبراهيم كل الطرق لجر أبيه إليه لكنه لم يفلح، لأن الأب كان قد شاب على ما شب عليه، يظهر ذلك في رده على ابنه بأسلوب ينبئ على ما في النفس من كره وبغض، فـ"ناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني، وأخره وقدم الخبر على المبتدأ. وصدره بهمزة الاستفهام للتقريع والتوبيخ والتعجيب، ولإنكار نفس الرغبة كأنها مما لا يرغب عنها عاقل...ثم توعده وهدده"[17]؛ عند هذا الحد علم إبراهيم أن أباه جافاه فاعتزله، وصبر على هذا الابتلاء المتمثل في اعتزاله لأبيه، وهو ابتلاء لا شك أنه مؤثر في نفسية الولد على الوالد، لكن الولد إذا كان قويا صبورا تخطى العقبات بسهولة وعزم، خاصة إذا كان يحمل مشروعا إصلاحيا متأكدا من صوابه.

بعد هذا ننتقل إلى مشهد ثان من مشاهد التزكية في قصة إبراهيم، وهو مشهد الإحسان والكرم، قال الله تعالى في تصويره لهذا المشهد: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [هود: 69-71].

فالكرم والإحسان معا من أسباب ترسيخ التزكية في نفوس الأطفال، والكرم والإحسان يعصمان النفس من التعلق بالمال؛ لأن النفس إذا تعلقت به تعبت فمرضت عند تلفه، وطغت عند وجوده وكثرته، كما وقع لقارون موسى مثلا، فكان مآله أن خسف الله به وبداره الأرض، فإبراهيم لما جاءته الملائكة أسرع في كرمهم كعادته، فجاءهم بعجل حنيذ، لكنه فوجئ بعدم أكلهم، فهم ليسوا بشرا.. فأوجس منهم خيفة، فقالوا لا تخف وبشروه بغلام حليم، فعلم إبراهيم وازداد يقينا أن الإحسان والكرم لا يأتيان إلا بخير وبركة وبشرى، لا يعرف قدرهما إلا من عاش لذتهما، ويكفي الكريم شرفا أنه يوصف بصفة وصف بها الرب سبحانه، وهي الكريم؛ وفي الحديث: " إن الله كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق، ويبغض سفاسفها"[18]، فالبيت الذي يكون أصحابه كرماء ترتاح فيه النفس وتزكو؛ وبيت إبراهيم كان كذلك فأخرج رجالا كإسماعيل وإسحاق.

وثالث المشاهد في نفس السياق، صبره عليه السلام وثباته حينما ابتلي بذبح ابنه إسماعيل، ففي هذه القصة العجيبة من معالم التزكية ما يعجز اللسان عن وصفه، فبعد ما حرم هو من دفء الأبوة، وأحس بدفء البنوة في بنيه، جاءه الأمر من الله بذبح أحدهم وهو إسماعيل، فناداه وعرض عليه الأمر فكان الولد كأبيه، صادق الوعد مرضيا، يقول تعالى في وصف هذا الحدث المهيب: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات:102].

لقد حاول إبراهيم اختبار قوة ابنه فوجده جلدا، يقول ابن كثير: "وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه"[19]، نجح الابن إذا في الاختبار، وبين لأبيه حسن تربيته له، يقول ابن العربي في تأويل هذه الآية: "هما كلمتان إحداهما من الوالد إبراهيم، والثانية من الولد إسماعيل. فأما كلمة إبراهيم فهي قوله أذبحك، وهو خبر لا أمر، وأما كلمة إسماعيل: ﴿ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ وهو أمر، وقول إبراهيم: ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ﴾ وإن كانت [صيغته] صيغة الخبر فإن معناها الأمر ضرورة؛ لأنه لو كان عبارة عن خبر واقع لما كان له تأويل ينتظر، وإنما هو بصيغة الخبر، ومعناه الأمر ضرورة. فقال إسماعيل لأبيه إبراهيم: ﴿ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾؛ فعبر عن نفسه بالانقياد إلى معنى خبر أبيه، وهو الأمر"[20].

هكذا إذن، كان بيت إبراهيم، يفوح عطرا بالكرم، وبالصبر، وبالإحسان، لأن أهله كانوا أصحاب نفوس مطمئنة مشبعة بالإيمان.

5. رابعا: معلم المحافظة على قواعد البنيان

هذا المعلم هو آخر معالم التزكية النفسية، وغالبا ما تكون نهاية الكبار متوجة بتأسيس المشاريع، إيمانا منهم بأن حياة المسلم لا تنقطع بالموت، بل تبقي بأثره وعمله، فإبراهيم عليه السلام بعدما جاء بأهله إلى مكان البيت وتركهم رحل عنهم في رحلة لتبليغ دعوة ربه، وقبلها دعا ربه بدعاء بين من خلاله القصد الذي تركهم لأجله، وطلبه حب الناس لهم ورزقهم، قال تعالى على لسانه: ﴿ رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم:37].

يروي الإمام الطبري عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام جاء بإسماعيل وأمه "حتى انتهى بهما إلى موضع البيت، فوضعهما ثم رجع، فاتبعته فقالت: إلى أي شيء تكلنا؟ إلى طعام تكلنا؟ إلى شراب تكلنا؟ لا يرد عليها شيئا، فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذا لا يضيعنا، قال: فرجعت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كداء، أقبل على الوادي فقال: «ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم»"[21]؛ ثم غاب ما شاء الله أن يغيب، ثم رجع، وكان رجوعه لقصد وهو التأسيس لأكبر مشروع إيماني، فقام هو وابنه إسماعيل وكان قد بلغ سن الرشد ببناء الكعبة، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [البقرة: 127]؛ وفي رفعها دعوة منه عليه السلام للمسلمين بعده أن يكونوا يدا واحدة في الحفاظ على دين الله، وفي الحفاظ على الأخوة والمحبة الإسلامية بينهم، فالمسلم الصادق إذا طاف بالبيت عالما بقصة الرفع وافق إبراهيم وإسماعيل في قصديهما، وهو قبول العمل من الله، فكان بهذا الإحساس مهذبا لنفسه ومزكيها، لم يغب عن تصوره قط الرفع الحسي والمعنوي.

يقول الشيخ الشعراوي: "والله يريد من المؤمنين أن يتصوروا عملية الرفع، فلم يكن إبراهيم يملك سلما حتى يرفعه ويقف فوقه، ولم يكن يملك «سقالة» .. ولكن غياب هذه النعم لم يمنع إبراهيم من أن يتحايل ويأتي بالحجر؛ إن الله يريد منا ألا ننسى هذه العملية، وإبراهيم وابنه إسماعيل يذهبان للبحث عن حجر، ولابد أن يكون الحجر خفيف الوزن ليستطيعا أن يحملاه إلى مكان البناء... ثم يقف إبراهيم على الحجر وإسماعيل يناوله الأحجار الأخرى التي سيتم بها رفع القواعد من البيت. ورغم المشقة التي يتحملها الاثنان... هما سعيدان... وكل ما يطلبانه من الله هو أن يتقبل منهما. والقبول والمقابلة والاستقبال كلها من مادة مواجهة... أي أنهما يسألان الله في موقف المعرض عن عمله، إنهما لا يريدان إلا الثواب"[22].

إن عملية الرفع هذه، وحدها كافية المسلمين اليوم في التزكية النفسية، وفي الوحدة والاعتصام بحبل الله، فالبناء يقتضي وضع اللبنة على أختها، ويقتضي قبل ذلك وبعده الموافقة القصدية بين الآمر والممتثل على الصورة والشكل، بمعنى أن إبراهيم كان في قيامه بالبناء موافقا قصد الله، فزكيت نفسه للعمل بما أمره الله، فما الرفع إلا رمز للمعاني الروحية التي قصدها الله، والتي بينها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حينما أراد تقبيل الحجر الأسود وهو يطوف بالبيت، روى الإمام البخاري عن "زيد بن أسلم، عن أبيه قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الحجر، وقال: «لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك»"[23]فعمر يقصد أن تقبيله كان موافقة لقصد الله ورسوله، ورجاء لتزكية نفسه وتربيتها على الامتثال والطاعة تعبدا لله، فالتعبد في الغالب لا تعقل فيه، فهو فوق العقل.

قال الإمام الشاطبي: "الأصل في العبادات بالنسبة إلى المكلف التعبد دون الالتفات إلى المعاني"[24]؛ فبين رحمه الله أن العبادات الأصل فيها الامتثال والطاعة لا غير، وللنفس في الامتثال لذة وراحة وطمأنينة، وإغلاق لباب الوسوسة.

بعد هذا جمع إبراهيم بنيه، فوصاهم بالحفاظ على العقيدة كما علمهم إياها، وعلى مشروع الذي ناضل من أجله وهو الإسلام، قال تعالى في تصوير هذا المشهد الختامي لإبراهيم عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة: 131- 133].

يقول سعيد حوى في بيانه لوصية إبراهيم: "أي وصى بهذه الملة وهي الإسلام، أو وصى بهذه الكلمة وهي (أسلمت لله لرب العلمين).. لحرصه عليها أو لمحبته لها حافظ عليها إلى حين الوفاة، ووصى بنيه بها من بعده"[25]، فلا شك إذن، أن الموصى به هنا ملة الإسلام، بدليل الضمير في (بها) العائد على "أسلمت لرب العالمين"، وهو رأي أغلب علماء التفسير[26]، فكانت الوصية تزكية، تنفع الحاضر والغائب من أبنائه، ولوصايا الآباء تأثير كبير على الأبناء، لأنها تبنى في الغالب على الشفقة والرحمة، فـ "صاحب الوصية يظهر شفقة وحنوا على من يوصيه، مما يكون له أثره الطيب في نفسه؛ وذلك من خلال ما يستعمله من ألفاظ مؤثرة[27]".

وقد كانت وصية إبراهيم لبنيه جامعة لكل معاني التزكية، بداية بالتأمل، ومرورا بمناظرته ودفاعه عن نفسه تجاه أعدائه، ثم صبره وإحسانه، ونهاية بتأسيسه لمشروع خالد من بعده، سماه بالإسلام، وسمى المنخرطين فيه بالمسلمين، فكانت قصته بحق قصة مؤثرة في النفس البشرية، فاستحق بها وحده لقب الأمة، مصداقا لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾ [النحل: 120]، ولقب الإمامة، مصداقا

لقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة:124].

يقول فريد الأنصاري رحمه الله: "الإمامة في الدين لا تنال إلا بالتخرج من مدرسة الابتلاء"[28]، وإبراهيم عليه السلام نجح في الامتحان فنال بذلك من ربه هذه الألقاب، وترك لنا قصة في القرآن لمن أراد اقتفاء أثره، وإلجام نفسه بلجام التزكية القرآنية من بعده.

6. الخاتمة:

وفي الختام نستنتج ما يلي:

أولا: التأمل في الأكوان والعوالم التي خلقها الله تعالى سنة إبراهيمية، ومنهج سليم لكل من أراد تهذيب نفسه، ومعرفة حقيقة وجوده؛ لأن الكون لا يتغير ولا يتبدل، فالنجوم والكواكب التي خلقها الله، والسماء التي رفعت بلا عمد... كل ذلك إذا تأمله الإنسان بفطرته، متجردا من هواه لامس بروحه أنوار ملكوت الله فأحس بوجود خالقه، عند ذاك تصفو نفسه وتخنع، وتطمئن وتخشع.

ثانيا: الحقيقة تجر صاحبها للابتلاء، لأن الحق في الأصل مخالف للهوى النفسي، لا يقبله إلا صاحب النفس الزكية، والحق إن لم يعارض بباطل يثبت حقيقته ويبين صلابته كان حقا غير مسبوك، فهو كالذهب كلما أحرق بالنار ازداد لمعانه، فليس العيب إذا في المعارضة والمدافعة، وإنما في من لا يحسن الدفاع عن حقه، فإبراهيم اختار منهجا سليما في الدفاع عن حقه فنجاه من حرق النار ومن تأثير الكفار.

ثالثا: الكرم والإحسان والصبر، كلها صفات تجلب الخير، وتدفع الضير، وتصقل النفس البشرية فتتربى على الحب والعطاء، فالبيت المكون من هذه الخصال الحسنة، ينشأ النشء فيه على الثقة والتوكل على الله، وهكذا كان إسماعيل، لما رأى صبر أبيه وحلمه وكرمه وإحسانه، أطاعه وتأثر به، فصدقه في المقال، و وافقه في الامتثال، وقال له يا أبت افعل ما تؤمر، فأسسا معا أمة مسلمة ثابتة الأركان.

رابعا: المحافظة على قواعد البنيان شيء واجب، فالإنسان إذا أسس بنيانا على التقوى والقصد الحسن، ينبغي له المحافظة عليه بترسيخه في نفوس بنيه من بعده، فالمسلم الصادق لا يعتبر موته نهاية بل بداية، قال تعالى: ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس: 12]؛ فيكون له ذاك مشروعا يصله ثوابه، وصدقة جارية له بعد الممات، وهذا المعنى يرى في بناء مكة المكرمة، فكل من رآها أحس بامتداد مشروع إبراهيم عليه السلام، فكلما طاف بالبيت، وشرب من ماء زمزم، وسعى بين الصفا والمروة، ووقف بعرفات، ورمى الجمرات، كلما تضلع وارتوى بماء التزكية الإبراهيمية، وأحس بوجوب البلاغ وتحمل المسؤولية التي أناطها الله به، وهي نشر الإسلام والسلام بين الناس.

7. قائمة المصادر والمراجع:

- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله. (2003م/1424هـ). أحكام القرآن، تحقيق ومراجعة محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط3.
- ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي. (1987). جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط1.
- ابن سليمان، مقاتل. (1423هـ). تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاته، نشر دار إحياء التراث – بيروت، ط1.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس.
- ابن كثير، إسماعيل. (1999م/1420هـ). تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2.
- أبو زهرة، محمد. (دون تاريخ). زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.
- الأصبحي، مالك بن أنس بن مالك. (2004م/1425هـ). الموطأ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، نشر مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية -أبو ظبي – الإمارات، ط1..
- الأندلسي، أبو حيان. (1420هـ). البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت.
- الأنصاري، فريد. (2012م/1437هـ). مجالس القرآن، دار السلام، القاهرة، ط2.
- الباجي، سليمان بن خلف. (1332هـ). المنتقى شرح الموطإ، نشر مطبعة السعادة -بجوار محافظة مصر، ط1.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر دار طوق النجاة ط1.
- بو الفلفل. (2011). نشأة الكون وحيرة العلماء (الإعجاز الكوسمولوجي في القرآن الكريم والسنة)، ط1/، دار الكتب العلمية.
- البيهقي، أبو بكر. (2003م/1423هـ). شعب الإيمان، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، إشراف مختار أحمد الندوي، نشر مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1.
- الجزائري، أبو بكر جابر. (2003م/1424هـ).أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5.
- حوى، سعيد. (1985م/1405هـ). الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط1.
- خان، صديق حسن. (دون تاريخ). فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المَكتبة العصرية، صَيدَا، بَيروت.
- الخطيب، عبد اللطيف. (1964م/1383هـ). أوضح التفاسير، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6.
- الرازي، محمد بن أبي بكر. (1999م/1420هـ). مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، نشر المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط5.
- رضا، رشيد. (1999م/1420هـ). تفسير المنار، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى. (1997). الموافقات، تحقيق مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، العربية السعودية، ط1.
- الشعراوي، محمد متولي. (دون تاريخ). تفسير الشعراوي، نشر مطابع أخبار اليوم (د.ط).
- الطبري، محمد بن جرير. (1387هـ). تاريخ الرسل والملوك، نشر دار التراث – بيروت، ط2.
- القاسمي، جمال الدين. (1418هـ). محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- قطب، سيد. (1412هـ). في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17.
- المراغي، أحمد بن مصطفى. (1946م/1365هـ). تفسير المراغي، شركة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1.

• نابلسي، محمد مصطفى. (1994). نظرات في وصية لقمان ومنهج التربية في القرآن، الناشر دار الفرقان، جامعة ميتشيغان. https://www.google.co.ma/search?hl=ar&tbm=bks&tbm=bks&q=inauthor:%22%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF+%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89+%D9%86%D8%A7%D8%A8%D9%84%D8%B3%D9%8A%22&sa=X&ved=2ahUKEwiLwsb-2KftAhXQWhUIHUBtBooQ9AgwAHoECAAQBQ

8. الحواشي والإحالات:

1) جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/1418ه،376/8 .
2) إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، تحقيق مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، العربية السعودية، ط1 /1997م، 2/ 289.
3) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر دار طوق النجاة، ط1/1422هـ، 100/2؛ ورواه مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، نشر مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات، ط1/1425 هـ /2004م، 383/2.
4) سليمان بن خلف الباجي، المنتقى شرح الموطإ، نشر مطبعة السعادة، مصر، ط1/ 1332هـ، 33/2.
5) رشيد رضا، تفسير المنار، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/ 1420هـ 1999م، 462/7.
6) ينظر: مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاته، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ط1/ 1423هـ، 571/1.
7) بوالفلفل، نشأة الكون وحيرة العلماء (الإعجاز الكوسمولوجي في القرآن الكريم والسنة)، دار الكتب العلمية، ط/ 2011م، 63.
8) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس،، ط/ 1984 هـ ، 317/7.
9) ينظر: ابن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط1/ 1987م، 556/1.
10) أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1/ 1365هـ- 1946م، 20/3.
11) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17/ 1412ه، 297/1.
12) ينظر: عبد اللطيف بن الخطيب، أوضح التفاسير، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6/ 1383هـ، 1964م، ص51؛ وينظر أيضا: أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط5/1424هـ/2003م، 248/1.
13) أبو زهرة،، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي؛ 959/2.
14) رواه محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب "قوا أنفسكم وأهليكم نارا" رقم 5188.
15) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس،، ط/ 1984 هـ ، 103/20.
16) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط/ 1420هـ؛ 299/8.
17) صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المَكتبة العصرية، صَيدَا، بَيروت، ط/1412هـ-1992م؛ 165/8.
18) أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، نشر مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1/ 1423هـ، 2003 م 372/10. والحديث وإن كان فيه مقال فمعناه صحيح.
19) إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2/ 1420هـ، 1999 م. 28/7.
20) محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، مراجعة وتعليق محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط3/1424 هـ -2003 م 32/4.
21) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، نشر دار التراث – بيروت ط2/ 1387ه، 255/1.
22) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، نشر مطابع أخبار اليوم، (د.ط) (د.ت) 585/1.
23) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر دار طوق النجاة، ط1/1422هـ، باب تقبيل الحجر، 151/2.
24) إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن عفان، ط1/1417هـ/ 1997م، 513/2.
25) سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط1/ 1405هـ 1985 م، 277/1.
26) منهم الطبري والزمخشري وابن عطية والقرطبي وغيرهم ...
27) نابلسي، محمد مصطفى https://www.google.co.ma/search?hl=ar&tbm=bks&tbm=bks&q=inauthor:%22%D9%85%

D8%AD%D9%85%D8%AF+%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89+%D9%86%D8%A7%D8%A8%D9%84%D8%B3%D9%8A%22&sa=X&ved=2ahUKEwiLwsb-2KftAhXQWhUIHUBtBooQ9AgwAHoECAAQBQ

نظرات في وصية لقمان ومنهج التربية في القرآن، الناشر دار الفرقان، 1994 جامعة ميتشيغان، 38.

28) فريد الأنصاري، مجالس القرآن، دار السلام، القاهرة، ط2/1437هـ 2012م. 3/233.